ملاحظات على النص وكلمة شكر

في سبتمبر2009م أطلق اتِّحاد الحرِّيات المدنيِّة مشروع الموقع الإلكتروني -TheTortur eReport.org؛ للاطلاع على 130,000 صفحة من وثائق سرِّيَّة سابقة تتعلق بسوء معاملة السُّجناء في السُّجون الأمريكيَّة بعد 11 سبتمبر.

يُعدُّ هذا الكتاب ثمرة ذلك المشروع الإبداعي التفاعلي.

وقد كشف التَّقرير الآتي عن هذا المشروع على موقع TheTortureReport.Org بين سبتمبر 2009م، ومارس 2011م، كما قال المؤلف الرَّئيس للتَّقرير:

> سأنشر الأجزاء دوريًّا، كما فعلت سابقًا، لقد قام العديد من المساهمين الخبراء في المشروع بوضع حواشٍ، وتعليقات، وتوضيحات، ومعلومات إضافية مهمَّة عن النص، وردَّ الجمهور على ما نُشِر في قسم مفتوح للتَّعليقات، وسأقوم بتحديث التَّطورات التي تتعلَّق بالرِّواية الناشئة، واستكشاف قضايا ذات صلة بالموضوع، ومستندات أساسية في يوميات على هيئة تقرير.

لقد كان المقصود من الرِّواية المطورة، والتَّعليقات، ويوميات النِّقاش كلِّها إظهار الطَّريق إلى أكثر معالم الموقع قيمة، وإلى قاعدة معلومات وثائق الـ FOIA القابلة للبحث من قبل العموم.

لقد ظلَّ كثير من ذلك المخزون الهائل مغلقًا غير مطروق، وقد لامست بصعوبة السِّجل الكبير من إساءة معاملة السُّجناء في السُّجون العسكريَّة في أفغانستان، والعراق على سبيل المثال، وبدلًا من ذلك فقد ركَّزت على الرِّوايات (الحكايات) الثَّلاث التي تُعدُّ في نظري أكثر توضيحًا لأعمال أصول برنامج التَّعذيب، وبنيته، وغاياته، كذلك مسرحيَّته المركزيَّة، وإلى حدٍّ ما فإنَّ الأجزاء الثَّلاثة من هذا التَّقرير تشكِّل نوعًا من لوحة ثلاثية الأبعاد، تبين انخراط أمريكا بعد هجمات 11 سبتمبر في عمليَّات التَّعذيب:

openkan.com

فعلى الشِّمال استجواب أبي زبيدة، وغيره في السُّجون السِّريَّة غير القانونية، والذي نظمته السي. آي. إيه مع البيت الأبيض، وعلى اليمين استجوابات محمد القحطاني، ومحمد ولد صلاحي، وكلاهما يشكِّلان (مشروعيّ البنتاغون الخاصَّين) في خليج غوانتانامو، وكوبا، وفي الوسط حكاية مواقع السي. آي. إيه السوداء في غوانتانامو، وغرف التَّعذيب في دول العالم الثالث وذيوع حكاية مؤامرة القنبلة القذرة المزعومة، وخبوتها التي تشمل أبا زبيدة، وبنيام محمد، وخوسيه باديلا.

تشترك هذه القصص في روايات ثلاث:

هي أنَّها من أفضل القصص توقيتًا في التَّقرير على الإطلاق، وأنَّها تبيِّن تسلسلًا واضحًا في القيادة بدءًا بالبيت الأبيض، وتكشف معاملة اعتُرِف في حينها أنها تعذيب، وصدر بعد ذلك فيها حكم لا لبس فيه بما يوافق ذلك، وكثير من الأسس التي تغطيها هذه الرِّوايات ليست جديدة، ومع ذلك بقي قليل منها معروفًا على نطاق واسع، ولم أكن أعرف أكثر من رؤوس أقلام عريضة عندما بدأت بإعادة صياغة التَّقرير.

تبدو بعض هذه الأمور باردةً وموضوعيَّةً أكثر من ركام الوثائق المحجوبة سابقًا حول برنامج التَّعذيب، ولكنَّ قليلًا من هذه الأمور يُعدُّ من النَّاحية الإنسانيَّة أكثر إغاظةً، ووضوحًا.

إنَّ عملي حسب ما فهمته هو سرد هذه القصص بكاملها مع الأدلَّة الوثائقيَّة كلِّها، وبينما كنت أقوم بذلك حاولت أن أستحضر أصوات مجموعتين بوجه خاص، وهي الأصوات التي تحمَّلت سوء المعاملة التي ينبغي أن نسمعها إذا أردنا أن نتحمَّل مسؤولياتنا كاملةً، بموجب القوانين الأمريكيَّة والدَّوليَّة التي تحظر التَّعذيب، وأصوات الرِّجال والنِّساء في الجيش، ووكالات المخابرات ممَّن كانوا بوصلتنا الأخلاقيَّة الجماعيَّة عندما كانت هذه الأحداث تتكشَّف للعيان

غالبًا تحت ضغط كبير، وأخطار شخصيَّة كبيرة يتعرَّض لها الذين واجهوا سوء المعاملة وهي تحدث، وبفعلهم هذا صنعوا أجزاءً حاسمةً من هذا السِّجل الوثائقيِّ.

لا يسعني إلا أن أشكر الاتحاد الأمريكيَّ للحرِّيات المدنيِّة؛ لاستخراجه هذه الوثائق بفضل صدور قانون حرّية المعلومات، وجعلها متوافرة للجميع؛ كي يستكشفوها، ويتوصَّلوا إلى نتائجهم الخاصَّة بهم، ومن ثم إتاحة الفرصة، والوقت، والمساحة؛ للقيام بهذا العمل.

وأدين بالشكر الخاص -لتشجيعهم وصبرهم- إلى المحامين وموظفّي مشروع الأمن الوطني التَّابع لـ ACLU، ومن بينهم جميل جعفر Jameel Jaffer، والكساندر عبدو Alexander Abdo، وبن ويزنر Ben Wiznar، وميليسا غودمان Melissa Goodman، وجوناثان مانس Jonathan Manes، ودِيني لوبويف Le Boeuf، وهينا شمسي Hina Shamsi، ونصرت تشودري Nusrat Choudhury، وعتيقة خاكي Ateqah Khaki، وليلى طباع Leila Tabbaa، وبنيامين سمايسر Benjamine Smyser، وهالي بوب Hallie Pope، وآنا استيفاو Anna Estevao، وستيفن واط Steven Watt، من برنامج حقوق الإنسان التَّابع لـ ACLU. وأشكر أيضًا كلًّا من إيرك شوينبورن Shoenborn، الذي صمَّم موقع TheTortureReport. Org، وأليكس فيتراك الذي حافظ على استمراره.

وأشكر كذلك ستيفن اسنبرغ Isenburg، وسارة هوفمان Sarah Hoffman، زميليَّ في المركز الأمريكي PEN اللَّذين ساعداني في تنظيم وقتي بين هذا المشروع، وواجباتي الاعتياديَّة، والشكر لـجون أوكس John Oakes، وكتب OR، اللَّذين حوّلا عملي من تقرير على الإنترنت إلى صفحة كتاب، وإلى لارا توبين Lara Tobin، وليلي كلينبارد Leily Kleinbard لمساعدتهما لي في المخطوطة.

ومن أكثر العناصر فاعليةً في الموقع الإلكتروني انخراط المساهمين الخبراء، وهم مجموعة تتضمن غلين غرينوالد، وجون مارينر، وديبورا بوبوفيسكي Popowiski، وجون سيفتون، وليزا

ما غاريل، ومارسي ويلر، وماثيو الكساندر، وديفيد فراكت حيث كانوا يعرفون بصورة جماعيَّة، وفرديَّة أكثر مما أعرفه أنا حتى الآن عن برنامج التَّعذيب، وكيف أنَّه أضرَّنا جميعًا.

ومن حواشيهم وتعليقاتهم التوضيحية التي ضاع بعض عملهم في التَّرجمة، وأن العديد من اقتراحاتهم، وتصحيحاتهم قد اندمجت في النَّص كما تظهر هنا.

على كل حال، فإنَّ العديد من ملاحظاتهم النفسيَّة، وتعليقاتهم، وأفكارهم لا تظهر بالنصِّ نفسه فقط، وإنما أيضًا في نهاية كل جزء.

إنني لا أستطيع التعبير عن شكرهم كما يجب؛ لدعمهم هذا المشروع، وعملهم المميّز الذي لا غنى عنه.

* * * * *

obeikan.com